

ملاصع التجديد في أدب أبي العلاء.

علي عبر إلياس - جامعة سيدي بلعباس

لعبت حركة النقل بسبب الاحتكاك والتمازج الحضاري بين الثقافات الوافدة دورا كبيرا في توجيه الأدب العباسي وتحديد ماهيته وخصائصه، كيف لا وقد حملت إلى العرب قوانين المنطق والعقل، وحقائق العلوم والفلسفة والفنون، فشاعت في الدرب نزعة الجدل والترابط الفكري، والابتكار وتحليل الظواهر واستتاج الدروس الحياتية، فبث في الأدباء من شعراء ونثرين روح التفلسف والقدرة على التفكير العميق الذي انعكس على مضامين أشعارهم، لكن هذا التأثير لم يتمكن من تبديل وجه القصيدة الشعرية وهندستها الخارجية فظلت محافظة على شخصيتها القديمة ومقوماتها الجنسية الغالبة، بل بقيت على نظامها العمودي الممتد من الأشعار العربية القديمة التي سبقتها، ومع ذلك فلا يخفى علينا أن الأدب العباسي على وجه العموم قد تنوع وتعددت واختلقت فيه الأغراض الشعرية وتشعبت فيه الألوان النثرية التي لم يكن لها وجود قبلي في الآداب الأخرى، وهذا ما صنعه شعراؤنا كأبي تمام والمتنبي وابن الرومي والشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري الذي أحصاه بالدراسة ومعاينة أدبه بالتمحيص والتدقيق في مضمون هذا المقال محاولا وصف آثاره الفكرية وصفا تحليليا ومدى تجليها في أدبه، إذ يعتبر أدب هذا الشاعر النثر الفيلسوف حلقة وصل بين الثقافة العربية والثقافة الوافدة وتأثير هذا الأخير على شعره خاصة، ومنه فإن شعر أبي العلاء لا يخلو من الفلسفة والتفكير اليوناني القديم وقد ظهر هذا الأخير على أدبه، فكان لهذا الشاعر الفحل التحرير جهود عظمى في الارتقاء بالأعمال الأدبية القديمة إلى مصف الآثار الشعرية والنثرية الخالدة لما حوته من فلسفة وفكر ومعارف وأساليب فنية، فشعره مثالي لما تضمنه من حكمة وخصوبة الأفكار وقوة المعنى وهذا من جمال العقل، وكسوة هذا الأخير بثوب أدبي حسن مرصع بألوان البيان والمعاني والبديع وهو

جمال الإطار المنبعث من النفس الشاعرة الجياشة الفياضة الخبرة بتوظيف الأساليب البلاغية والفنية المحملة بالألفاظ الجزلة الجيدة السبك والعبارات المتخيرة الفريدة السلسلة في التعبير عن الأغراض وإيصال المعنى إلى القواد قبل أن يصل اللفظ إليه مع البراعة في تصوير المشهد الشعري في ذهن القارئ.

أما المنهج الذي اعتمدته في هذا المقال لدراسة وبيان أبعاد التجديد في أدب أبي العلاء هو منهج وصفي مزدوج يقسم إلى قسمين هامين، فقسم انصب حول فك وتشريح أدب أبي العلاء من جهة المضمون للكشف واستنباط ما هو مستبطن ومكنون في شعر خاصة من ترسبات فكرية وفلسفية ومعرفية محاولا استجلاء آثار الثقافات الأخرى من فحوى أدبه، وقسم آخر اختص بوصف الأساليب وطريقة التصوير الفني والتمثيل والتشخيص في شعره. وأخيرا - حتى لا أطيل عنكم في استبيان المنهج - يمكن القول أن المنهج المستعمل ها هنا هو منهج مكمل يجعلنا نحول في فلك أدب المعري محاولين كشف النقاب عن حفياته واستكناه وإبراز ما فيه، وكأنها وقفة تدعونا إلى تشريح عقل الشاعر وإنشاد مقاصده من مضامين صناعاته الأدبية الشعرية والثرية التي امتازت برقة الأسلوب والألفاظ المتقاة المتسعة لمعان متعددة وحكم متباينة حول حياة الناس وكل ما هو كائن في هذا الوجود. ومن هنا فإن الشاعر أبا العلاء لم يغد إلى توظيف الفلسفة دون البراعة في الكلام، وإنما جمع وزاوج بينهما ونظم أشعارا على حروف المعجم، يقول الدكتور - طه حسين - في هذا الشأن: "ولولا أن أبا العلاء كان يقصد إلى الفلسفة وحدها، وإنما كان يقصد إلى البراعة اللفظية والاستعانة على الوقت والتسلي عن الحياة وآلامها، لقد كان يستطيع أن يقول للناس ما أراد أن يقول ويصور لهم ما أراد أن يصور من آرائه في الإلهيات والنبوات والحياة الاجتماعية في أيسر اللفظ وأقله وأسرع مدخلا إلى النفوس، ولكنه لم يرد من هذا شيء، وإنما أراد أن ينظم شعرا على حروف المعجم كلها مضمونة ومفتوحة ومكسورة وساكنة"⁽¹⁾.

ففي فحوى كلام الدكتور الذي بين أيدينا استدلال على أن المعري عمل على التسوية بين الطرفين، أي الفلسفة والبراعة والجودة في الكلام وكان ذلك بحسن التأليف وصياغة المدلول ولم يفرط في أحد منهما، حيث جعل فلسفته

مضمنة مدرجة في ثنايا أدبه شعرا ونثرا، فنهج فيه نهج الفلاسفة، فمجد العقل أحسن تمجيد وأثنى عليه بجعله سلطة يحتكم إليه في كل شيء، وترفع به إلى مصف الأفكار الراقية والفلسفة الخالدة مبتقدا الظن والخيال محاولا نقضه ومبينا بطلانه، ومن هنا يرى عطاء الله زرارة مستشهدا بقول جميل صليبا الذي ذكر أن: "العقل عند أبي العلاء المعري أسس الفضائل وينبوع الآداب، فلا يسمى الإنسان فاضلا حتى يكون عاقلا يعرف ما ينبغي له أن يؤثر من خير أو يتجنب من شر، لأن الأخلاق عنده من موجبات العقل الصحيح، فإذا تم عقل المرء سهل عليه التغلب على مشكلات الحياة وصعوباتها"⁽²⁾. فالعقل في نظر أبي العلاء هو المعيار الأساس الذي تنظم به الحياة ويقنن به السلوك الإنساني إذ به تمنع النفس من الإفراط في إتباع الهوى فتضر بالغير، لذا عد العقل عند المعري هو ميزان الفضائل والأخلاق وأيضا ميزان الحقائق سواء كانت عقلية محضة أم حسية في الواقع، فبه خاطب ما في الإنسان من عقل وفكر وانتقد ما هو دني مكانة منه فيه، فقال في الآيات له مشيدا بالعقل:

كَذِبَ الظَّنَّ لَا إِمَامَ سِوَى	العقل مشيرا في صبحه والمساء
فإذا ما أطعته جلب الـ	رحمة عند المسير والإرساء
إِنَّمَا هَذِهِ الْمَذَاهِبُ أَسْبَا	بِ الْجَذْبِ الدُّنْيَا إِلَى الرَّؤْسَاءِ ⁽³⁾

فمما يتبين من هذه الآيات التي ذكرها الشاعر ها هنا أنه لا يمكن للإنسان أن يستند إلى أقوال الناس في تقرير الحقائق وإثباتها، بل يجب أن يحتكم إلى لعقل في تحديد كنه المعارف وماهيات الحقائق، وعلى هذا فإن إدراك الحق لا يكون بالتقليد والنقل، بل بالنظر وإعمال العقل والتدبر في الموجودات، فمن اتبع عقله وأطاعه نال حظا وفيرا من السعادة التي تغنيه وتشفي غليله، ومن زاغ عنه وخالفه عاش في قلق دائم وشقاء مظلّم، فهو مصدر الحقيقة واليقين وماعدا ذلك في نظره ظن وتخمين بني على الشك وعدم اليقين، فيقول مبرزاً ذلك:

فشاوِر العقل واترك غيره	هدرا فالعقل خير مشير ضمه النادي ⁽⁴⁾
-------------------------	--

وقوله أيضا :

سَأْتَبِعُ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ جَاهِلًا وَأَرْحَلُ عَنْهَا مَا إِمَامِي سُبُوَى عَقْلِي⁽⁵⁾

وفي هذه الآيات بيان لاعتقاد المعري وانتصاره لمذهب الفلاسفة العقليين:

يقول في هذا الصدد عمر الفروع: "يعتقد المعري أن من اتبع عقله لم يضل، هذا إن كان له عقل ! أما إذا لم يكن له عقل فهو يعمل أعماله بالتقليد، أو يساق إليها كالعجموات، ولم يكتف المعري بأن يحكم العقل في الأمور التي جرت العادة بتحكيمة فيها، ولكنه أراد أن يكون العقل حكما في كل شيء، وتبرز هذه الدعوة إلى الاهتداء بنور العقل في أكثر الأغراض التي تناولها المعري في لزوماته، وفي العبادات أيضا⁽⁶⁾. ومع ذلك فلا يمكن أن نسلّم كليا بكون المعري تبنى عقيدته على العقل ورجّحه بأن يصير منبع التصديق لمطلق الحقائق، بل شاب تفكيره نوع من التصورات والحدوس احتملت الظن وعدم القطع لعدم صدقها في العلوم فتنافت مع العلم وقصرت عنه لاضطراب منهج العقل في التفكير، وبين لنا هذا الدكتور حنا الفاخوري فقال: "أدرك أبو العلاء أن يحكم العقل في كل شيء ولكنه اضطرب في ذلك التحكيم، ولم يكن له من الفلسفة العميقة والعلم الراسخ ما يوضحه له معالم طريقه"⁽⁷⁾.

ومن هنا فإن العقل عند أبي العلاء على ما يبدو ليس هو ذلك العقل العلمي المحض الذي يسلم من التصورات والحدوس في إدراك الشيء على ما هو في الحقيقة الحسية، بل يقوم على ظن وتخمين احتوى على معارف حاصلة فيه فقط وهذا الأخير هو ضد العلم، فالعقل السليم هو الذي حمل مفاهيم علمية حادثة في معلوم الشيء الذي هو به الشيء هو، وبهذا فإن المعري لم يستوف للعقل حقه في الاعتماد عليه والامتنال له والعمل به فكان له عكس ذلك حين جاء بأحكام ظنية بنيت على الوهم مثبتة في شعره ثم توصل بعد ذلك إلى أن الإنسان لا يدرك الحقيقة الكلية بعد أن أثبت أن العقل هو مركز المعرفة، وفي هذا الصدد

يوضح لنا حنا الفاخوري إقرار أبي العلاء بنقص وقصور استناده على العقل في التفكير بشاهد من شعره، حيث ذكر:

أَمَّا الْيَقِينُ فَلَا يَقِينُ وَإِنَّمَا أَقْصَى اجْتِهَادِي أَنْ أَظُنَّ وَأُحْدَسًا⁸.

أولاً: شعره: يُقسم هذا الأخير إلى قسمين: شعره في الشباب وهو ما تضمنه ديوانه سقط الزند والآخر في الكهولة وهو ما شمله ديوانه اللزوميات، ونظمه للشعر في الشباب يختلف عن نظمه في الكهولة، فالأول بالغ فيه في تقليده لسابقه من الشعراء وعلى رأسهم المتنبي، أما الثاني فقلت فيه المبالغة والتكلف وبه اعترض على متقدميه من العرب، فتخير الألفاظ الجزلة وأبدع في صناعة الأساليب وتقليبها على أكثر من وجه وركب القوافي الصعبة فلزمها ما لا تلزم وكان ذلك في ديوانه الموسوم "بلزوم ما لا يلزم"، يقول حسن الزيات في هذا الشأن: "ينقسم شعر أبي العلاء إلى قسمين: شعر الشباب ويجمعه سقط الزند، شعر الكهولة وقد وعته اللزوميات، أما شعره في الشيبة فكثير المبالغة واضح التقليد قلده فيه المتنبي واستمد منه أكثر معانيه واستخف بقواعد اللغة وجارى شعراء عصره في البديع... وأما شعره في الكهولة فقليل المبالغة والتكلف، فقد عارض فيه المتقدمين من العرب فآثار اللفظ الجزل والأسلوب البدوي وركب القوافي الصعبة والتزم ما لا يلزم وتشدد في إتباع القياس، وأكثر من البديع والجناس وأودع شعره في هذا الطور فلسفته وآراءه"⁹. فقد تجلت آثار التجديد على مستوى الشكل والمضمون في هذا الديوان الشعري، فإنه انطلق فيه من حياة الإنسان وشؤون المجتمع من زاوية خاصة طغى عليها روح الزهد والتشاؤم وأضفى عليها صبغة فلسفية مكنته من الولوج في كنه الفكر الإنساني على اختلاف المذاهب وتعدد المشارب مما كان لديوانه المكانة السامية التي انفرد بها عن باقي دواوين متقدميه من شعراء العرب، فحمل عظات وحكم تميز بها ديوانه الفريد، يقول المعري واصفاً ديوانه في مقدمة الكتاب: "...وأضفت، أشياء من العظة، وأفانين على حسب ما تسمح به الغريزة، وجمعت ذلك كله في كتاب لقبته -"لزوم ما لا يلزم"- ومعنى هذا اللقب أن القافية

تلتزم لها لوازم لا يفتقر "إليها حشو البيت" ⁽¹⁰⁾. وبهذا قام موضوع أدب أبي علاء على فلسفات يونانية قديمة شملت جميع مباحث الحياة، فتشرب من ينباع فكر الفلاسفة الحكماء ونحا نحوهم في التفكير والفلسف، حيث انعكس كل هذا على أدبه شعرا ونثرا، مما يعد تجديدا قام به الشاعر على مستوى المضمون فجمع بين القديم في تقليده لسابقه والجديد بتأثره بالثقافات الوافدة التي أضفها المعري على شعره، يرى طه حسين في هذا المنحى: "أن أبا العلاء تناول بفلسفته ما تناول غيره من الفلاسفة، فبحث عن العالم وما فيه وبحث عما وراء المادة، وبحث عن السياسة والأخلاق وأطوار الاجتماع" ⁽¹¹⁾.

وقد قمت في هذا المقال بدراسة وتشريح قصيدته المشهورة في رثائه حنفيًا، والتي مطلعها (غير مجد في ملتي واعتقادي) محاولا القبض على تلايبيها، وبيان ما يجول في فلكها من جملة تيارات فكرية وجوانب إيديولوجية وثقافات متنوعة ومتعددة المشارب تضافرت وتلاحقت مع وجدان الشاعر المتدفق كالسيل العارم ونظرته العميقة إلى الوجود المنوطة بالتأمل المشترك فيه العقل والعاطفة معا.

القصيدة: يقول المعري:

- 1- غَيْرَ مَجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نُوحِ بَاكَ وَلَا تُرْثِمِ شَادِ
- 2- وَشَبَّهِ صَوْتِ النَّعْيِ إِذَا قِيسَ صَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ
- 3- أَبْكْتَ بَلَّكُمْ الْحَمَامَةَ أُمَ غَنَّتْ عَلَى فَرْعِ غَصْنِهَا الْمِيَادِ
- 4- صَاحَ! هَذَا قُبُورُنَا تَمَلَّأَ الرِّ حَبَّ فَاقَيْنِ الْقُبُورَ مِنْ عَهْدِ عَادِ
- 5- خَفَّفَ الْوُطْءُ! مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْآ رَضٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
- 6- وَقَبَّحَ بَنَّا وَإِنْ قَدِمَ الْعَهْدُ دَهْوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
- 7- سِرٌّ إِنْ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رَوْنَدًا لَا اخْتِيَالًا عَلَى رَفَاتِ الْعِيَادِ
- 8- رَبِّ لَجِدْ قَدْ صَارَ لِحَدَا مِرَارًا ضَاحِكًا مِنْ تَزَاكُمِ الْأَضْدَادِ
- 9- وَدَفِنَ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَيَادِ
- 10- نَجِبَ كُلُّهَا الْحَيَاةَ فَمَا أَحَدُ جَبَّ إِلَّا مَنْ رَاغِبٌ فِي أَزْدِيَادِ

فحدث تناسب بين البيتين، وإن تنوعا من حيث المضمون إلا جنس المعنى باق كما هو عليه، فالتناسب هاهنا من حيث الجنس لا النوع، فإن كلا البيتين يصبان في معنى الموت وما تحمله هذه الأرض من أضداد أختيار أشرار وبتراءى هذا الأخير في البيت الثامن بينما يشير البيت التاسع إلى قطعية الموت وأن كل ماهو في هذه الحياة فان، فكأن هذه الحياة خلقت لأجل الموت وأن الأرض على مدى الأزمان تحمل رفات الأموات، وعلى هذا فإن البيت التاسع يقرر ما قبله، ويمكن أن نشهد بهذا على صحة عقيدة أبي العلاء المعري في إيمانه بالغيبات، حيث يتبين ذلك في قوله:

رَبِّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضاحِكٌ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
ففي دليل مقحم على من زعموا بفساد عقيدة المعري، فهو يعكس غير ذلك ويعترض على المشككين ويحك بها آراءهم. أما التقاطع الفكري بين فلاسفة أبي العلاء والفلسفات الحديثة والمعاصرة فباد في بعض الآيات نلفيها فيما يلي:

يقول الشاعر في البيت الرابع:

صاح؟ هلْذي قبورنا تملأ الرِّحَ بَ قَائِنِ الْقُبُورِ مِنْ عَهْدِ عَاذِ
فهذا البيت يشترك مع نقاط فكرية متناثرة في ثنانيا الفلسفة الوجودية "لسارتر و-هيدغر"، فقد عالج المعري في هذا البيت المذكور تصوره للوجود والحياة، حيث اعتبر الإنسان مشروع ولا موضوع خلق للموت أو وجدت حياته لأجلها، وهذا ما يزعمه المذهب الوجودي في الفلسفة الغربية، وكذلك هيمنة النزعة الشاؤمية فيه.

وبتراءى أن الشاعر في قصيدته قد سوى بين المتضادات وجعل ظاهرها يتشابه ويتقاطع، فيرى أنه لا فرق بين نوح البكاء والترنم وصوت النعي الذي مصدره الحزن الشديد وصوت البشر بالخير، وفي هذا إقرار وتأكيد لطغيان الطابع الشاؤمي إلى درجة تصوره انعدام الخير فيما هو خير وحلول الشر واستقراره في جميع مواصفات الموجودات فالحياة في نظر الشاعر تسير على نمط وهيئة واحدة،

فجاءت المفارقات كلها غير متفاوتة، ونلاحظ هذا في الآيات الثلاث الأولى، قال فيها مينا مقرا ما سبق ذكره:

غير مجد في ملتي واعتمادي نوح باك ولا ترغم شاد
وشبيه صوت النغي إذا قيسَ بصوت البشير في كل نادي
أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها إلياد

ونلفيه أيضا في البيت الثالث عشرة والرابع عشر والخامس عشر في قوله:

إن حزننا في ساعة الموت أضعا ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنقاء
إنما ينقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أورشاد

أما الأساليب التي ضمنها الشاعر في قصيدته، فتنوعت بين الأساليب الخبرية والإنشائية الطليعية وغير الطليعية، فالأساليب الخبرية حملت في طياتها فلسفة الشاعر في الوجود والحياة والموت، وقد سبق الكلام في شأنه مما أغنى عن إعادته، أما الأساليب الإنشائية الطليعية، فنلغي أسلوب الاستفهام في البيت الثالث بقوله:

أبكت تلكم الحمامة أم غنت؟ على فرع غصنها إلياد

فهزمة الاستفهام ها هنا لطلب التصور لا التصديق، وهو يحتوي على معان ثوان يؤديها لعل أبرزها:

أولا: يتضمن هذا الاستفهام تعجبا إذا حمل على سياق القصيدة وسباقها ولحاقها، حين جعل المفارقات في الوجود في مرتبة واحدة، وهذا تبين أنفا.
ثانيا: وإما أن يخرج هذا الاستفهام إلى غرض الحسرة والتأسي اللذان انبثقا من نزعة تشاؤمية اتصفت بها معاني الآيات الشعرية.

وترأى الاستفهام أيضا في عجز البيت الرابع بقوله:

صاح! هلدي قبورنا تملأ الرح ب فآين القبور من عهد عاد

فالاستفهام هنا حول المكان ويؤدي أيضا غرض التعجب وبيان أن كل
حي يمشي فوق هذه الأرض فان، وسيكون بعد زمن تحت الثرى وأن الأقوام
الذين سبقوا مضوا وانقضوا، ويقرر في هذا البيت الذي يتلوه قائلنا:

خَفَّفَ الْوُطْءَ ! مَا أَظُنُّ أُدِيمُ الْآ
رَضَ إِلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
أَبْنَاتِ الْهَدْيَلِ أَسْعَدَنَ ، أَوْ عَدَ
نَ قَلِيلِ الْعَزَاءِ بِالْإِسْعَادِ
إِيَّاهُ اللَّهُ دَرَكَنَ فَأَتَتْهُ —
لَوَاتِي تُحْسِنُ حِفْظَ الْوَدَادِ

فالييتين الرابع والخامس وإن كان في الظاهر أسلوبا نداء وأمر وهما من
الأساليب الإنشائية الطليعية إلا أنهما مصوغان بصيغة التعجب، فتضمنا معناه،
وتوظيفه كذلك للمنادى المرخم بقوله: "صاح - وأصلها - صاحب - فحذف منه
الباء، وحذف حرف النداء يا" وأصلها المقدر "يا صاحب" بالضم لأنها نكرة
مقصودة وهذا لضرورة الوزن، ودليل على قدرة الشاعر أبي العلاء في التحكم في
اللغة وصناعة الكلام على وجهه السليم.

وأخيرا يمكن أن نلخص في سطور وجيزة أبرز السمات التي اتسم بها شعر
أبي العلاء المعري فيما يلي:

- 1- تجلي النزعة العقلية في شعره نتيجة تأثره بالفلسفة اليونانية الوافدة، حيث
أشاد بالعقل ومجده، فهو يهاجم التحجر الفكري ويقصي الانتماء إلى المذاهب لأنها
ضرب من التقليد تحصر العقل في مجال فكري ضيق متناهي الأبعاد.
- 2- دعوته في شعره إلى التحكيم في أمور الدين والدنيا وإمعان النظر في
الوجود، ومن هنا فإن العقل في نظر أبي العلاء المعري يمارس السلطة في تحديد أية
مسلمة أو نبذها، فهو جوهر الحقائق والمحدد لماهيات الأشياء التي لا فصل إليها إلا
بالتعقل وتحديد مفاهيمها وما صدق عليها على حد تعبير الفلاسفة.
- 3- صيغ شعره الخصب المعنى، القوي الفكرة بصيغة تشاؤمية ألفيناها في
هذه القصيدة النموذجية، وتتلخص في ثلاثة أقسام: قسم للتأمل الفكري
والوجداني وهو الذي يشترك فيه العقل والعاطفة أو الدفق الشعري وقد انصبت

فيه نظرة الشاعر إلى الأرض التي تزاومت بكثرة الأضداد في مدافنها، وأما الثاني فهو قسم للرثاء فرثى فيه الفقيد الراحل الذي كانت حياته حياة علم وزهد.

4- اتسم مطلع قصيدة الشاعر بثورة عاطفية لفتها الفلسفة لفا وسيطرت عليها نظرة العقل سيطرة واسعة، فهي نظرة حكيمة تبعث في النفس روح التفكير في الحياة والولوج إلى أعماقها لاستكناه حقيقتها واستجلاء ما فيها من أسرار لمعرفة أصل هذا الوجود.

5- في هذه القصيدة عمق واتساع لأن الشاعر طوى فيها الحياة والوجود طياً، وامتد مع الزمان والمكان مداً وجزراً إلا ما لاحد له، فكشف عن حقيقة الإنسان وعن حقيقة الزوال.

6- طغى على شعر الشاعر في هذه الأبيات المترعة من السقط ضرب من الخيال الذي رسم لوحة حكيمة وفلسفية تلونت بلون أدبي، مثال ذلك ما ورد في البيت الخامس، فنجلده يقر ويصور للقارئ أن أديم الأرض إلا من أجساد البشر، وصفحة الأرض قبور تملأ الرحب، والمدافن ميادين يتزاحم فيها المتسابقون إلى الفناء.

7- ومنه فإن أبا العلاء شاعر مفكر عميق الفكر، وفيلسوف بعيد المرامي، إضافة إلى امتلاكه لناصية البيان وزخم لغوي ضخيم وبراعته في التصوير الفني للعالم والموجودات فكان شعره فضاءاً فكرياً وحكمياً في قالب أدبي جمالي امتاز به. ثانياً: نثره: يعد نثر المعري كثير التكلف، فقد أفرط في استعمال غريب الألفاظ وأثقله بركوب الأساليب الوعرة الصعبة التراكيب المشوبة بالغموض الذي يعمي القارئ، يقول الزيات في ذلك: "نثر أبي العلاء... كان كثير المبالغة، مفعماً بالغريب، متكلف السجع، كثير الاصطلاحات العلمية، ثم حكم فلسفته في نثره فقللت المبالغة وفاضت الجمل بالمعاني ولم تحل كتابته من غموض يعمي القارئ وتطويل عمله، فرمى بكتب الرسالة إلى بعض أصدقائه فيمعن فيها ويستطرد حتى تكون كتاباً ضخماً غريب المسائل كثير الفوائد (17)".

وله في المنشور مصنفات عدة طبع بعضها وفقد البعض الآخر، يذكر حنا الفاخوري أشهرها وهي خمسة: "رسالة الغفران: وضعها أبو العلاء سنة 1032م مع شرحها في مصر وفي دمشق بتحقيق "سليم الجندي" سنة 1944م، ورسالة الهناء وقد طبعت في مصر سنة 1944م، وملتقى السبيل، وهي رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس بدمشق سنة 1912م الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ وهو كتاب ضبطه وفسر غريبة-محمود حسن زناني- وعبث الوليد وقد اختلف المؤرخون في موضع الكتاب والأشهر إنه شرح لشعر-البحري-وتعليقاته عليه (18).

ومما لا يخفى علينا أن المعري كان لغويا ونحويا قد اشتغل بمباحث النحو والتصريف ولم شرح بعض كتاب "سيويه" ولكنه مفقود، وبين السيوطي في كتابه الطبقات قائلا: "وله من التصانيف شرح شواهد الجمل، ولم يتم شرح بعض الكتاب سيوي" (19).

وبهذا يكون أبو العلاء المعري قد أبدع وأجاد في فني المنظوم والمنثور ولم يقتصر عمله على أحد منهما، إضافة إلى إحاطته وتضلعه في علوم العربية ومباحثها وأبوابها.

ثالثا: أبو العلاء المعري في ميزان النقد:

أ- رأي ياقوت الحموي في شعر أبي العلاء: يرى ياقوت الحموي في كتابه ﴿معجم الأدباء﴾ أن الشاعر المعري كان شديد التأثر بالمتنبي مولعا به ويرى أنه أشهر المحدثين في زمنه، فقد حذا حذوه وسلك سبيله في النظم وكان يصنفه في أعلى المراتب مفضلا إياه عن بشار بن برد وأبي نواس وأبي تمام، يقول ياقوت الحموي في هذا الشأن "وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبي ويزعم أنه أشهر المحدثين، ويفضله على بشار ومن بعده مثل أبي نواس وأبي تمام (20).

ب- رأي شوقي ضيف في شعر أبي العلاء المعري: يرى شوقي ضيف أن شعر أبي علاء في اللزوميات متفاوت بين جودة ورداءة لما فيه من ضعف الصياغة والتركيب في الأسلوب قائلا في ذلك: ﴿من يقرأ اللزوميات وينظر فيها نظرة فنية من

- ² - عطاء الله زراقة، التوحيدي (النزعة الإنسانية في الفكر العربي)، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012م، ص32.
- ³ - المرجع نفسه، ص33.
- ⁴ - المرجع نفسه، ص33.
- ⁵ - المرجع نفسه، ص33.
- ⁶ - عمر القروخ، دراسات في الأدب والعلم والفلسفة - حكيم معرة أحمد بن سليمان المعري، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م، ص152.
- ⁷ - حنا الفاخوري، الجديد في الأدب العربي، ابن الهيثم، القاهرة، ط2، 1985م، ص742.
- ⁸ - المرجع نفسه، ص743.
- ⁹ - ينظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص308.
- ¹⁰ - ينظر، المعري أبو العلاء، ديوان - لزوم ما لا يلزم - ما يسبق حرف الزوي، تحقيق وشرح كامل الياجزي، دار الجيل بيروت، ط1، 1412هـ، 1992م، ص15.
- ¹¹ - طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، مصر، ط07، د.ت، ص246.
- ¹² - ينظر المعري أبو العلاء، سقط الزند، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1428هـ، 2007م، ص ص197-198-199.
- ¹³ - ابن المنظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج15، دار صادر بيروت، ط1، 1410هـ، 1990م، ص334.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ج61، ص413.
- ¹⁵ - المصدر نفسه، ج3، ص412.
- ¹⁶ - المعري أبو العلاء، سقط الزند، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1428هـ، 2007م، ص197.
- ¹⁷ - ينظر: -أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، د.ط، ص308.
- ¹⁸ - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1426هـ، 2005م، ص ص845-846.
- ¹⁹ - ينظر: -السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط1، 1399هـ، 1979م، ص50.
- ²⁰ - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3، تح: عمر فروق، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1999م، ص239.
- ²¹ - شوقي ضيف، الفن ومناهجه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط05، 1965م، ص394.
- ²² - السيد أحمد الهاشمي الأزهرى أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، ط04، 2012م، ص331.
- ²³ - محمد مندور، في الميزان الجديد، مكتبة نضرة مصر، القاهرة، ط3، د.ت، ص138.